فضاءات سردية تسير بموازاة العالم الغارق في الحروب

متابعة المدى

الحياة ما هي إلا رقعة شطرنج، أمس كان كاليوم، كومة حروب، وألم يضيق بنا، حدّ الاختناق، البسطاء يرحلون، بما يحملوه في صدورهم من أحلام بسيطة، وأمنيات صغيرة، من أجل أن يعتلي الجبناء عرش السلطة، أولئك الذين يقفون في الصفوف الأخيرة دائما خوفاً على حياتهم، غير مبالين بما سيحدث من دمار، نعم ما حالنا إلا رقعة شطرنج، لسنا من يُسّير حياته، فهنالك أيد خفية، هي من تضع الملوك الذين تختارهم في الصفوف الخلفية، وترصُ أمانينا فداءً لهم دون إرادة منا، وتنحرنا تحت اقدامهم في حروب لانعرف ما أسبابها، لنترك أنصافنا من العشاق على قيد انتظار وألم، ليترجّل أولادنا إلى المدارس حفاة بلا حقائب مدرسية، لنترك ضفيرة الطفلة ودميتها جالسة على إرجوحة تأخذها حيث المجهول، أما من يجلس خارج تلك الرقعة، فينظر مستمتعاً بكم البؤس الذي يراه، يُصفق لتلك الايادي التي تحركنا بشغف نحو إنتصارٍ لا معنى له...

لهذا كتب النمساوي ستيفان تسفايج روايته "لاعب الشطرنج" التي تحمل في مضمونها فضاءات سردية تسير بموازاة العالم الغارق في الحروب دون أن تتورط في جولاتها مباشرة، أبطالها جيوش من خشب تسير إلى حتفها في صراعٍ اللاعبين، كتبها تسفايج بعد أن اتخذ قراره بالانتحار احتجاجاً على الحرب العالمية الثانية التي رأى بوادرها تعصف بالقارة العجوز وبلدانها.

الرواية تقوم في جوهرها على شخصين مسافرين فقط، الأول لاعب الشطرنج العالمي "سيركو زينتوفيك" الذي توفي والده البحار غرقا فعانى طويلاً من الأوصاف المسبقة حول عدم أهليته، وعدم قدرته على الكتابة والقراءة، حتى تم اكتشاف قدراته الهائلة في الشطرنج وهو في عامه الخامس عشر حين قادته الأقدار إلى اللعب أمام ضابط متقاعد في غرفة قس تم استدعاؤه على عجل ليحضر احتضار امرأة مسنة، غرفة القس كانت بوابة الطفل الذي هزم الضابط في لعبة الشطرنج نحو الحياة، فانتقل إلى المدينة المجاورة ومنها إلى النمسا حيث تدرب لعام كامل على يد أحد أمهر العارفين بهذه اللعبة، وليتفوق بعد ذلك عالميا هازما الجميع منفردين ومجتمعين.

أما الثاني فهو الدكتور "ب" أو السيد "ب"، نمساوي ينتمي إلى أفراد عائلة كانت مقربة من القصر الإمبراطوري في فيينا، كاتمو أسرار الأمراء وواجهاتهم المالية ناصعة البياض، هذه العلاقات المتشابكة كانت وبالا على الدكتور "ب" الذي تم اعتقاله على يد جهاز الأمن الألماني عقب احتلال النمسا ومطاردة كل رموز العهد المنتهي، فتم اعتقاله في سجن حيث وجد ذاته في مواجهة حادة مع الفراغ القاتل ودورات التحقيق التي لا تنتهي، ضمن لعبة روائية يحصل بطريقة ما السجين على كتاب يكون ملاذه وعالمه في السجن، ذلك الكتاب تضمن فنون لعبة الشطرنج فضلا عن مئة وخمسين شوطا من أشهر المباريات العالمية في هذا المضمار، كان هذا هو الثقب الأسود الذي غرق به العمود الثاني في الرواية، فذاب في معادلات الاحتمالات وتوقع حركات الخصوم رغم عدم جلوسه يوما أمام رقعة شطرنج، فهو يمارس هذا النشاط ذهنياً فقط من خلال ما اطلع عليه من كتب حول الشطرنج.

ولخلق مساحة مشتركة بين العالمين لجأ تسفايج إلى شخصيات إضافية، كالراوي الذي ينقل للقارئ ما حدث دون فعل واضح في مجريات الحكاية، والسيد هاوي الشطرنج الذي يتكفل بإقناع بطل العالم بحضور نزال لمرة واحدة أمام الدكتور "ب"

منذ العتبة الأولى للنص تبدأ الرواية بالابتعاد عن الذاتية التي تغيب ليسيطر ضمير "الغائب" في الحديث الحاضر في الرؤيا أمام الراوي، لتحقيق هذه المعادلة كان لا بد من استجلاب صديق آخر أيضا بلا هوية واضحة ليخبر الراوي والقارئ معا عن أسرار لاعب الشطرنج الشهير، بينما تكفل الراوي بتفكيك أسرار الدكتور "ب".

الدكتور "ب" المصاب بهوس الشطرنج، يواجه بطل العالم فيربح النزال الأول وسط دهشة الجميع بمن فيهم البطل، لكن سرعان ما يكتشف الأخير نقطة ضعف الأول مع بدء النزال الثاني، فالانتظار كان مقتل الدكتور "ب" وبهذا راح "سيركو زينتوفيك" باستنزاف عشر دقائق كاملة بين كل نقلة ونقلة، وهذا ما وضع الدكتور "ب" في مواجهة صادمة مع حالة السجن، فعادت أحوال الاضطراب الذهني لمداهمته حتى يتدخل الراوي لإنهاء المشهدية بإقرار "ب" الهزيمة كي لا ينفجر تحت الضغط الهائل.

هكذا تغدو رواية تسفايج شهادة قاسية عن اللاعبين في هذا العالم وعن المتفرجين الذين لا يعرفون أسرار اللعبة أو مكامن النجاح والخسارة فيها.

شهادة في رواية (ظلال جسد، ضفاف الرغبة) لسعد محمد رحيم

■ صالح الرزوق

تلعب دور البطولة في رواية (ظلال جسد، ضفاف الرغبة)× لسعد محمد رحيم شخصية نسائية هي (رواء العطار) وتحمل كل أدوات الإغراء و الخداع. و من ذلك الكذب و التلفيق و التمثيل و اللعب بالجسد كأحبولة أخيرة.

ولكن بوسعي أن أقول: إن رواء العطار ليست شخصية جديدة في عالم رحيم. وهي وريثة كل الشخصيات الحائرة السابقة، التي تراوغ عالمها، ولا تستطيع أن تدرك حقيقة ولا جوهر وجودها الفردي داخل المجتمع. إن كل شخصيات سعد رحيم مجبولة من نفس المادة وتضغط بنفس الاتجاه. فهي تكاد لا تعرف نفسها، فكيف ستعرف غيرها؟. ولا تجد أي فرق بين الكابوس وواقع الهزيمة العسكرية والسقوط النفسي.

فبطل قصة (الهرب من السراديب) لا يعرف هل ما يرى رشاش أم هراوة أم أنه شيء وهمي غير موجود؟. وبالاستطراد كل أبطال مجموعة (تحريض) متورطون بعالم قوامه الوهم. فهم تقنيا مجرمون، لا يتورعون عن ارتكاب الفواحش والقتل العمد. لكن لا يمكن أن تفهم هل الهدف هو الانتحار أم إطلاق النار على أطياف وخيالات. لأن كل الشخصيات إفتراضية إذا ابتعدت عن "أنا" المتكلم، وهو بطل القصة وكاتبها في وقت واحد.

وهذا يساوي بينهم (نفسياً) وبين رواء العطار (مادياً). لكن الطرف الأول وهمي والثاني تمثيلي. بتعبير آخرهما تجريد وإسقاط.

ويترافق ذلك مع تجزيء لهيكل الحكاية الأساسي. فهو لا يتطور بشكل متسلسل ولكن تتخلله فراغات. كما أن بعض الوحدات السردية تتكرر. فيعود الحدث بصيغته دونما إضافة، وتتكرر بعض الجمل والعبارات. للتأكيد؟.

ربما.

لكنه تكرار هوسي وسريري. ويتحكم به النسيان قصير الأجل أو الشك بالغاية المرجوة. ولطالما كان التكرار نوعاً من التعبير القهري في تصوير الرغبة وفرض عودتها إنما بشكل غير عضوي ولا متماسك1. وهو تعبير ذاتي عن موضوعات أساسية مثل الخوف من الفشل، فالإنسان لا يكرر إلا الأحداث المؤسفة أو الصعبة التي تمر به 2.

مع ذلك تنفرد رواية (ظلال جسد) عن كل ما سواها أنها تستعيد دورة حياة بطلتها الوهمية (رواء)، ولا تسعى لتكرار مفردات أو مفاهيم. فأعمال سعد رحيم تحتلها صيغ تعود دائما، سواء على مستوى المفردات والمعاني والأفكار. ناهيك عن التكرار المعكوس (نفي السابق بنقيضه). إنما في هذه الرواية تأخذ دورة الحياة شكلاً لا متناهيا. فالرواية تدور حول محورها لترسم عدة دوائر متطابقة دون نهاية. حتى أن ارتكاب المحظور ينقصه الابتكار. فالجرائم متشابهة، وأداة الجريمة غرفة النوم وجسد المرأة.

تندرج هذه المحطة من حياة سعد رحيم ضمن مشروع الواقعية الجديدة. حيث أن الرأس واقعي والقلب حديث. فهي تهتم بتبسيط مجريات ووقائع الأحداث، وتقريب الشخصيات من حياتنا اليومية، والابتعاد ما أمكن عن التلاعب باللغة. ولكن شمس الحقيقة لا يمكن أن تتطور بسهولة. فإدراكنا لدقائق الأمور في واقع متدهور تحكمه الوسائط المتعددة للمعرفة. وعلى هذا الأساس كان الأسلوب ميسراً وفي نفس الوقت يتألف من ألغاز غامضة. وكانت وظيفة التكرار هي في حل غموض الألغاز المستعصية. وطبعاً ليس بدافع الفضول، أو حباً بالمعرفة ولكن خوفاً من المجهول. وهذا هو تفسير فرويد لوظيفة التكرار، إنه يدرأ المؤجل بتسريعه ولو في مجال المساحة النفسية والتوقعات.

وتبقى ملاحظة أخيرة.

لقد كانت شخصية رواء سلسلة لامتناهية من الجيوب المغلقة أو الأسرار. الصندوق الأسود بالتعبير الدارج. وتفسيرها موجود في اعترافات قرينها أو نصفها المذكر سعيد العطار. فهو مثلها يشك بواقعه ويهرب من ذاته. ويكاد أن يقر أن حياته مجرد استيهامات وأحلام يقظة.

نعم هي مؤلمة بدرجة انحدار الواقع وتدنيه وفساده، غير أن الورقة التي يكشفها سعيد هي نفس الورقة التي تحجبها رواء. إنهما من طينة واحدة وحجرة واحدة. يعيشان في عالم تصنعه الرغبات ويحدوه الخيال. ومحركه هو الهروب. وأهم قرينة عنوان قصة سعيد.

عموما نوع الهروب وأساليب التعبير عنه تختلف من شخص لآخر. فما بالك لو أنهما مذكر ومؤنث. المرأة تستعمل سلاحها الأساسي وهو الغواية. بمعنى أن قانون اللعبة هو: وهم بالعطاء وخديعة بالحيازة. في حين أن الرجل يدخل في قوقعته. وكان سعيد من أول سطر في قصته الطويلة مستلقياً على الأرض ينزف ويتخيل. والأعراض السريرية للانهمام بالذات كلها موجودة. تسارع في دقات القلب، مشاهد ضبابية ولا يمكن التثبت منها، ارتفاع في الحرارة، اللهاث، التعرق، الغزل الخليع. هذا بالإضافة لذكر كلمة "يد" عشرات المرات، ووصف رموز قضيبية في حالة انتصاب كالرشاش والسوط.

لا أعتقد أن سعد رحيم قدّم بمنطق الدائرة شهادة عن دورات العنف المتكرر في تاريخنا المعاصر. وإنما كان يسجل شهادة عن دورة الانتاج والاستهلاك، أو دورة الغرائز.. حياة وهمية وموت مؤكد. وأجزم أن منطقه تغلب عليه فلسفة تهديم البنية الفوقية (الظاهرة) وسياق اللغة. وتجد أدلة كثيرة في مجمل أعماله على هذا السلوك. فالحرب والجو العسكري ليسا أصليين لديه، وهما على الأحرى أصداء لحقيقة تفكيره التجريدي. حتى أن أزمة اليورانيوم المخصب في حرب الخليج تحتل مساحة على الهامش في (ترنيمة امرأة). فقد سخر هذا العمل للإعراب عن رغبته للعودة إلى منبع الحكمة، وهو الغرب. فرحلة بطل الرواية سامر إلى روما اختيارية، لكن عودته مفروضة. وأشواقه لكلوديا تصل لمرتبة مرض النوستالجيا أو الحنين المزمن، بينما ذكرياته عن زوجته المرحومة لا ترقى ولو لمرتبة ظل أو خيال.

و بالنتيجة، و بالعودة لـ (ظلال جسد) نجد أن الدائرة التي تدور فيها الأحداث هي تنويعات على فكرة السقوط من الجنة. فالعذاب منشأه الحرمان من السعادة. و لم تسجل الرواية إدانة لمخالفات رواء ولكن هناك تحسر على اختفائها كرمز من رموز النعيم.

إذا كانت هذه الرواية نتاج عقل كلاسيكي لقلت إن الخطوط الثلاثة (الروائي، والسارد العليم بما تخفي الصدور كأنه إله أو خالق حقيقي، والأصوات التي لها قيمة رموز أو استعارة مكنية)، تنتمي لعالم التصورات والمثل الأفلاطونية، والتي تتألف من صورة مرفوعة وصورة جزئية ومعنى مادي.

ولكن سعد رحيم أبعد ما يكون عن المذهب الكلاسيكي بكل ألوانه، حتى أن حداثته لا تدخل تحت عنوان الحداثة الكلاسيكية التي أكل الدهر عليها وشرب. إنه لا يسبح في مياه النهر مرتين. وتوجد انعطافات حتى في كل خط من الخطوط السابقة. فاللغة والصور والمنطق تتبادل الأدوار فيما بينها وذلك لتحقيق الهدف المنشود: استكمال المعنى وإغلاق الدائرة على الأفكار.

لقد كانت الرواية تجريبية، مثل قصة "الهروب من الدهاليز"، بكل معنى الكلمة. ما تبدأ به لا تنتهي إليه. وللتوضيح أيضاً. إذا كانت البداية مع علاء ورواء العطار في مكتبة الجامع، إن النهاية تكون مع علاء متحول ومع امرأة لا نعرف عنها شيئا محددا، وكأنها صورة عن هذا العالم الذي ينقصه الإيمان أو الرسالة أو المبدأ.. العالم اللاأدري الخائن لنفسه والمنقلب على وصاياه، عالم "الوصايا المغدور بها" على حد تعبير ميلان كونديرا.

(الباب الرابع) لجمال نوري أثر الحرب والحصار والنزوح

د.فيصل عبدالوهاب حيدر

تمتد أحداث قصص (الباب الرابع) إلى فترة زمنية ما قبل الاحتلال الأميركي للعراق وما بعده بطريقة توحي للقارئ أنه أمام مشهد واحد تتصل أجزاؤه بانتظام وتناسق مرعب. ومصدر الرعب هنا هو الحروب وما جرته من مآسٍ على أبناء شعبنا المقهور. ولعل قصة (الجندي) تلخص هذه المسألة برمزية عالية فالجندي العائد من جبهة القتال يرفض أن ينزع ملابسه الخاكية عند معاشرته زوجته قائلا لها: "سأبقى بهذه البدلة كي أزرع في أحشائك جنديا صغيرا سيلتحق بحروبنا الكثيرة القادمة". وبذلك فإن الكاتب يوحي بأن صناعة الحروب آلية مقدرة لهذا البلد ويحمل المسؤولية بالطبع للطبقة السياسية الحاكمة قبل الاحتلال وما بعده. ومع ذلك فقد وضع القاص جمال نوري في مستهل مجموعته القصصية قصة توحي بالتفاؤل على الرغم من صور الدمار التي خلفتها الحروب وتأثيرات الحصار وهي القصة التي تحمل عنوان المجموعة (الباب الرابع) ومنشأ التفاؤل في هذه القصة أن الكاتب يرسم الثقافة والقراءة بابا للولوج نحو المستقبل الزاهر للبلد، حيث أن الصبي الذي يعاني مع عائلته من آثار الحرب والحصار لا يرى في كل هذا الخراب سوى صندوقاً مليئاً بالكتب – وكأنه يحتوي على كنز ثمين – يقبل عليها ويقرأها بنهم بالغ. إضافة إلى أن الأب الذي يرجع من جبهة القتال قد اعتنى كثيرا بهذه الكتب ورتبها في هذا الصندوق حفاظاً عليها من عبث أولاده. ولكن ولده النجيب أثبت أنه يستحق هذا الإرث الثقافي الذي ستتوارثه الأجيال من بعده تواصلاً مع تاريخ العراق المنتج للحضارات والثقافة. وما يلفت حقا أن غلاف المجموعة القصصية قد صمم على شكل رفوف كتب مهملة بما لا يتوافق مع مغزى الرسالة التي يريد الكاتب إيصالها للقارئ عبر قصة "الباب الرابع". ولكن ربما أراد المصمم الإيحاء بأن الثقافة مهملة ويعمها الخراب نتيجة لما أحاق بالبلد من حروب وحصارات.

يهتم الكاتب في قصصه المتنوعة بهموم الناس من جراء الحصار مثل "ابتسامة ناقصة" و"عظام" وقصص أخرى متماهية مع قصص الحرب والتي تمتد في تاريخها لعقود من السنين مثل "مطر أسود" و"الدمية" و"العودة" و"إطلاقة" و"عيون" و"ماراثون" و"قرطاسية" و "هل أنت متأكد؟"، وقصص النزوح مثل "أقفاص" و"أسئلة". أما القصص التي تهتم بالسياسة بشكل عام فتأخذ أبعاداً مباشرة أحياناً وترميزاً سياسياً أحياناً أخرى مثل "كلب مسعور" و"الكرسي" و"وجوه" و"بصاق" و"الأصبع" و"القسورة" و"سيرة عصا". أما القصص المتبقية فتتوزع بين القصص العاطفية والاجتماعية والأمور العامة .

إضافة إلى قصة (الجندي) التي اختصرت رؤية الكاتب السياسية وموقفه تجاه الحروب نلتقط الرؤية الانسانية التي توحي بها قصة (قرطاسية) والتي صاغها الكاتب بلغة بسيطة ودقة فنية عالية. فالرجل الذي دمرت الحرب بيته وقتلت كل أفراد عائلته يواظب على شراء القرطاسية لأولاده كل موسم دراسي تماما مثلما اعتاد ذلك في سنوات ما قبل الحرب.

تبرز قصة (وجوه) في الترميز السياسي فهي على بساطتها تدين السياسيين الانتهازيين الذين يتلونون مع كل عصر أو توجه سياسي. كذلك قصة (قسورة) والتي تلخص مسألة سقوط الحكام الطغاة برمزية عالية. ويبدو أن الكاتب قد تأثر بإحدى قصص إرنست همينغواي وأظنها (ثلوج كليمنجارو) في وصفه لحلم الأسد بالبراري المشمسة الخضراء بينما يصف همينغواي بطله بأنه يحلم بشواطئ أفريقية المشمسة والتي تمرح فيها الأسود. والترميز السياسي الأكثر فنية يتمثل في قصة (سيرة عصا) حيث يتركز السقوط السياسي في رمز الطغاة وهي العصا التي يكسرها التلاميذ ويرمونها في سلة المهملات.

عالم الكتب..

يقدمه أحمد الزبيدي

العودة الى البيت

هذه هي الرواية الثانية للكاتب بارني نوريس الذي صعد نجمه في عالم الأدب ،بعد أن بدأ مشواره الأدبي مع تأليف المسرحيات قبل أن يبدأ بكتابة الرواية ،والكاتب من مواليد المملكة المتحدة في العام 1987

تتحدث الرواية عن عائلة روبرت التي تعودت أن تأتي في كل عام، الى منزلها القديم للاحتفال بعيد ميلاده. تجتمع العمات والأعمام وأبناء العمومة البعيدين – فقد كان ذلك المنزل يمثل معلماً في حياتهم لعقود. ولكن في هذا العام لا يرغب روبرت أن يذّكره أحد بما حدث منذ اجتماعهم الأخير – وكذلك حال حفيدته كيت.ولكن لأسباب مختلفة تماماً.. وكليهما غير متأكد من أنه يستطيع حضور الحفلة . رغم إن هذه الحفلة تمثل بالنسبة لهما أهم تجمع عائلي.

تقول إحدى مقاطع الرواية أن الناس يعيشون في تلك المنطقة الواقعة ما بين واقع حياتهم الحقيقي وتلك الحياة التي يتمنون أن يعيشوها. الجميع بحاجة الى أن يروي قصصه، والجانب الآخر من شريط حياته،وأن يروي الحياة الحقيقية التي يعيشها وأحلامه، وما بين الحلم والحقيقة ، هناك رابطة وثيقة لا يمكن فصلها.

"رواية نوريس هذه كتبت باسلوب شاعري وهي قصة عاطفية عن الأسرة، ولحظات الضعف البشري، والعلامات التي يتركها الحب علينا.

ثلاثة أشياء عن إلسي

تعتبر الكاتبة جوانا كانون (المولودة في عام 1951) طبيبة نفسية مشهورة ،وقد تحولت روايتها الاولى الى مسلسل تلفزيوني شهير ، أما (ثلاثة أشياء عن إلسي) فهي روايتها الثانية التي تقول في مقدمتها

هناك ثلاثة أشياء يجب أن تعرفها عن إلسي.

الشيء الأول أنها أفضل صديقة لي..والثاني هو أنها تعرف دائماً ما يجب قوله لكي أشعر بحال أفضل.والشيء الثالث ... قد يتطلب شرحاً أكثر قليلا ،عندما تسقط بطلة الرواية التي تدعى فلورنسا والبالغة من العمر 84 عاماً وسط شقتها في دار للمسنين. وبينما كانت تنتظر من يأتي لإنقاذها، يخطر على بالها أن تتساءل عما إذا كان هناك سر رهيب من ماضيها على وشك أن يخرج الى النور؛ وعما إذا كان هذا الرجل الوسيم الذي قدم مؤخراً إلى دار المسنين هو من سيكشفه ،و لماذا يشبه تماما ذلك الرجل الذي مات قبل ستين عاما؟ نتعلم من هذه الرواية أشياء كثيرة، ولكن اهم ثلاثة اشياء نتعلمها:

1) إن المشاعر الإنسانية هي ما تقربنا بعضنا الى بعض

2) هناك الكثير جدا بانتظار أي شخص أسوأ من أي شيء حدث له من قبل

3) حتى أقل لحظات الحياة سكونا يمكن أن تترك لها صدى كبيراً.

امرأة في النافذة

يقدم الكاتب آي جاي فين روايته الجديدة (امرأة في النافذة) ليضعنا في جو من الإثارة والتشويق ،الرواية تتحدث عن آنا فوكس التي أمضت عشرة أشهر طويلة منذ أن غادرت منزلها. عشرة أشهر قضتها تتنقل بين غرف منزلها القديم في نيويورك ، عاشت فيها لحظات ، مرعبة جداً

كان شريان الحياة بالنسبة الى آنا هو أن تراقب العالم الحقيقي من نافذة إحدى الغرف، حيث كانت تجلس كل يوم ، لتراقب جيرانها. وعندما تنتقل عائلة راسيلز الى جوارها تعجب آنا بهم على الفور فهم عائلة مثالية من ثلاثة أشخاص ، تعيد لها ذكريات الماضي

ولكن في أحد الليالي ، ينطلق صراخ محموم يمزق الصمت، وترى آنا شيئا لم يكن تتوقع أن تراه وتصبح شاهدة على حدث مفاجئ. عليها الآن أن تفعل كل ما في وسعها للكشف عن حقيقة ما حدث بالفعل. ولكن حتى لو فعلت، فمن سيصدقها ؟ وهل يمكنها أن تثق بنفسها

في روايته هذه فان الكاتب لا يكشف لنا فقط، الحياة الداخلية لشخص يعاني من الاكتئاب، ولكنه يجعلنا أيضا نعيش جو من الإثارة الى ان تنتهي الجملة الأخيرة من الرواية.